من مستقبل الاسلام في تلك المملكة لانهُ ينمو ويتقدَّم واذا اخذ يومًا بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الاقصى انقلابًا عظيمًا لان الصين اسلامية ليست كالصين وثنية (وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)

شكيب ارسلان

الجرائم واسبابها

الجرم لغةً الذنب وعرَّفهُ علماء القانون بما يقع من فعل او حركة خلافًا للحق والعدل والقانون . او هو كل فعل نصَّ القانون بالعقاب عليهِ لكونهِ منافيًا للعدل لمخالفتهِ مصلحة الجمهور

والجرائم على اختلاف انواعها القانونية لا تخلو منها امة من الامم الا الجيل من الاجيال ولا تختص بمصر دون اخرى بل تستوطن وتستقرّ في جميع الامصار سواء كانت آهلة باقوام متوحشين او متمدنين . وقد تنبه لها في القرن الماضي جماعة من المحققين وفي مقدمتهم الاستاذ لومبروزو الايطالي واهتموا بمعرفة الاسباب التي تحمل الناس على اقترافها وبعد التنقيب توصلوا الى كشف حقائق جليَّة وان قلت ولا جناح عليهم اذا قلَّ ما اكتشفوهُ مع طول مدات البحث ولا لوم اذا لم يبلغوا الغايات المرومة لانهم فلال ولان العقبات التي اعترضتهم في خلال التحقيق كثيرة لا يعترض مثلها غيرهم في التنقيب عن غيرها من الحقائق العلمية

ومع ان البحث عن الجرائم واسبابها مهم جدًّا ترى الجرائد العربية عمومًا مقصرة عن الخوض فيهِ والعناية بدرسهِ الا ان مجلة المقتطف تعرضت لهُ غير مرة كما ترى في مقالة الجنون والجرائم المدرجة في الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر ومقالة منع الجرائم المدرجة في الجزء السادس من المجلد الثاني والعشرين ومقالة الجرائم والاوهام المدرجة في الجزء الاول من المجلد الثالث والعشرين . وقد عنَّ لخاطري الضعيف على ما بي من العجز والتقصير ان اطرق باب هذا البحث مستلفتًا انظار علمائنا الاعلام الى استجلاء غوامضهِ منبهًا اطباءنا الحاذقين لكشف كثير من اسرارهِ

اطبق العلماء في كل عصر واتفقوا على ان الاجتماع ضروري للنوع الانساني لان الواحد من الناس لا بدَّ لهُ في تحصيل غذائهِ وكمالهِ والدفاع عن نفسهِ من الاستعانة بابناء جنسهِ والانسان بطبعهِ الحيواني ميال الى الشر نازع الى الظلم

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وهذا الطبع الحيواني لا يفارقهُ ولو انتظم في سلك الاجتماع بل يرافقهُ فيهِ ويدفعهُ الى

منافسة غيره ومغالبته وتملك ما بيده بالاعتداء عليه . ولا بدَّ من وازع يصدُّ الناس عن الاعتداء ويدفع بالعقوبات بعضهم عن بعض حفظاً للنوع الانساني واستبقاء للعمران البشري . فقامت الحكومات ووضعت قانون العقوبات غير ان هذا القانون شرط ألاَّ يعاقب المجرم الاَّ اذا كان عاقلاً مميزاً حرًّا . ولا يخفى ان العقوبات لا تقوى على تغيير طباع المجرم بعد بلوغه وصيرورته عاقلاً مميزاً ولا تؤثر في الاسباب التي صيرته مجرماً ولهذا يتحتم على محبي المجتمع الانساني ان يبحثوا عن الاسباب التي تولد الجرائم ويتنقبوا بعد معرفتها على استنباط دواء يؤدي الى استئصالها او يُفضي على الاقل الى تقليل وقوعها والقاء شرورها

وقد ظن كثيرون ان الفقر من اهم اسبابها وانهُ يحمل الانسان على الاجترام والعبث بنظام الاجتماع ولكن هذا الظن لا يصدق في كل الاحوال لانهُ علم بالتحقيق ان ما يقترفهُ الانسان من الجرائم محمولاً عليه باضطراره الى القوت انما هو قليل بازاء ما يجترمهُ بغير هذه العلة وان بني البشر لا يمتنعون من اقتراف المعاصي واتيان المخازي اذا حصلوا كل ما يحتاجونهُ من الاغذية والملابس والامتعة والمباني او بلغوا من التأنق فيها غايتهم بل يقدمون على اتيانها في الشدة والرخاء وفي حالتي الفقر والغنى

وقال آخرون ان تقدُّم الانسان في التمدن يمحو الجرائم ويزيل اثرها وهذا القول معترض عليه بان اقواماً من المتوحشين مع كونهم ناشئين على ما نشأ عليه اباؤهم واجدادهم متخلقين باخلاقهم متمسكين بعاداتهم ما زالوا حتى الآن يراعون حقوق بعضهم بعضاً ويحترمونها اكثر مما تراعي اعظم الشعوب تمدناً وتحترم حقوق بعضها البعض الآخر ولم يكن التمدن ليؤثر في الجرائم تأثيراً جوهريًّا بل أثر تأثيراً عرضيًّا في كيفية ارتكابها وخفَّف من صرامة العقوبات عليها

ومن اهم الوسائل لتقليل الجرائم ان يعنى بتربية الاولاد في المدارس الابتدائية وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتعليمهم آداب السلوك واشرابهم المبادئ الصحيحة . ويجدر بوالديهم بل يجب عليهم ان يعاونوا المدرسين والمدارس بان يُشربوا اولادهم تلك المبادئ في بيوتهم ويلقنونهم اياها ويعودوهم عليها منذ الصغر . وهذه المعاونة تتم بتحسين احوال الأُمهات وتسهيل امورهن المعاشية اذ يتعذر على الأُم ما دامت منهمكة في التماس غذائها وتحصيل حاجتها وحاجات اولادها ان ترضعهم المبادئ القويمة وتخلقهم بالاخلاق الحميدة

ويتعين على كل دولة ان تهتم بصحة رعاياها وتستنفد وسعها استئصالاً للامراض التي تفسد اجسامهم وعقولهم لان الباحثين علموا بالاختبار ان معظم الجرائم ينشأ عن مثل هذه الامراض وان عدد المجرمين يتكاثر بتكاثرها ولو بلغت احوال سكانها في الرفاه ما عساهُ ان تبلغ. ولا يخفى

ان ضعف الانسان جسماً وعقلاً مضرٌّ باخلاقهِ مفسد لطباعهِ دافع لهُ على ارتكابِ الموبقات

ويجب على ذوي التشريع ان ينظروا في الجرائم والعقوبات متبصرين في شأن المجرم غير مقتصرين على التروي فيهما دون الالتفات اليهِ وعلى رجال القضاء ايضاً ان يقدموا النظر في المجرم واحوالهِ على البحث عن جُرمهِ وعقابهِ محققين بادئ ذي بدء ميل المجرم وصفاتهِ مستقصين اهم الاسباب التي جعلتهُ مجرماً باحثين عما يضمن استئصالها او اتقاء شرّها وعن تاثير كل نوع من انواع العقوبات . واذا اهمل رجال القضاء تقصّي هذه الامور الجوهرية أدّى اهمالهم الى انحرافهم عن جادة العدل بالميل تارةً الى التشديد في عقوبة الفتيان والفتيات الذين اذنبوا لاول مرة والجنوح تارةً الى الرفق بالمتبعثين في الشقاوة فيبعثونهم على التمادي فيها والاصرار عليها

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

اما الحكم على المجرم بعقوبة الحبس فيجب ان يكون عادلاً ليؤثر في نفسهِ فيقوّم سيرهُ في مستقبل ايامهِ ويردع غيرهُ عن ارتكاب مثل جرمهِ . واذا لم يكن الحكم عادلاً فلا يكون مفيداً. ولا تتم الغاية التي وضع السجن لها الاّ اذا خرج المجرم منهُ معتبراً بما حلّ بهِ من العقاب متأهلاً لنيل نعمة الحرية واذا أُطلق سراحهُ غير متعظٍ بالعقوبة التي عوقب بها فيكون السجن قد استوفى من العقوبة نصفها يجعل المذنب عبرةً للجمهور وتصّر عن استيفاء النصف الآخر الاهم اعني بهِ تاديب المجرم وتهذيبهُ وتاهيلهُ للحرية . وهذا التأهيل مستصعب جداً وقد يكون احياناً مستحيلاً . وحقيق بالحكومة وواجب عليها ان تختار لادارة السجون مأمورين من الذين حنكتهم الايام متصفين بمعارفهم معروفين بآدابهم اكفاء للادارة ولافادة السجناء وتهذيب اخلاقهم وتقويم ما اعوجّ من امورهم واذا كانوا غير متجمعين هذه الصفات خرج السجناء من سجونهم غير متعظين وربما انطلقوا منها مائلين الى الشر بما سرى اليهم فيها من الفساد بالعشرة الرديئة

ولم يخطر على بال المحققين ان يدرسوا هذا الموضوع ويبحثوا عنهُ بحثاً علمياً الاّ في القرن الماضي ونظموا تسهيلاً لدرسهِ جداول احصائية افادتهم فوائد ذات شأن . ولو وجدت منظمة قبل القرن المذكور لعرف بها رجال القضاء ما اذا كانت الجرائم على ازدياد او تناقص وعلموا ما للعوامل الطبيعية والاجتماعية من التأثير في طباع المجرم واهوائهِ ولكانت معينةً للتخفيف من وطأة جورهم على المجرمين والرفقة من غلظة عقوباتها فانهم كانوا احياناً يفرطون في الخشونة الى حد ان يعاقبوا مجرماً بالشنق على جرم يعدهُ القانون الآن من نوع الجنح او من قبيل المخالفات. وهذه الجداول توضح لكل شعب عدد الجرائم التي اقترفها افرادهُ وانواعها وعدد الذين سيقوا

النفقات التي تؤديها انكلترا سنوياً سبعة ملايين ونصف مليون جنيه . وزد عليهِ ما يفسدهُ المجرمون في البلاد و يتلفونهُ من اموال العباد ومثل هذا المجموع يوازي نفقات حرب من الحروب الهائلة وربما فاق عشر خزج الحكومة ولو أُنفق هذا المال في اعمال خيرية او مشروعات نافعة لعاد باموال طائلة وافاد البلاد وسكانها فوائد ادبية ومادية جزيلة

ومن نكد الدنيا ان الجرائم والحروب لا يرجى ان تخلو عنها امة او تنجو منها تمام النجاة على ان الحرب صارت في هذا العصر ابعد وقوعاً بين الدول لارتباطهن بقوانين اذا رُوعيَت امتنع على دولة منهنَّ ان تشهر حرباً على دولة أُخرى فضلاً عن ان الامم المتمدنة اصبحت راغبة عن الحرب كارهة لها نازعة الى السلم تائقة اليهِ. ولعلهم يعرضون بعد قرن او اكثر عن الحرب ويستعيضون عن تحكيم المدفع والحسام بتحكيم العقول والاقلام . اما حظ الجرائم فلا يكون كحظ الحروب ولا يقاربهُ قبل الوقوف على اسبابها التي يقسمونها الى ثلاثة اقسام . الاول يتعلق بالمكان والاقليم والفصول والثاني بالمجتمع من حيث احوالهُ السياسية والاقتصادية والادبية والثالث يتعلق بالشخص ومنبتهِ ونسبهِ وعمرهِ وجسمهِ وعقلهِ وجنسهِ . وهذه الاسباب وان كانت لا تؤثر غالباً الاَّ مرتبطاً بعضها ببعض فحقيق بالناظر فيها الباحث عنها ان يتروَّى في كل قسم من اقسامها الثلاثة و يبحث عنهُ على حدةٍ لتتجلَّى لهُ غوامضهُ وتنكشف اسرارهُ

محمد ابو عز الدين

أكرم الكرماء

البارون هرش وزوجتهُ

لا غرابة اذا عدنا الى الكلام على اكرم الانام ولو امسى هو وزوجتهُ عظاماً رميماً لان هبة كارنجي التي دوت بذكرها النوادي العلمية والادبية مليونين من الجنيهات دفعةً واحدة لمدارس اسكتلندا اعادت لنا ذكرى كريم آخر رأينا من الاجحاف ان لا نصف هباتهِ وهبات زوجتهِ بالاسهاب

هو البارون مور يس ده هرش اكبر اولاد البارون يوسف هرش الذي رقَّاهُ الملك لويس الثاني ملك بافاريا الى رتبة البارونية لاجل امانتهِ لعرشهِ وخدمهِ الكثيرة النافعة لهُ . كان جدُّهُ تاجراً بالبقر فاثرى وصار ملك بافاريا يستدين المال منهُ . قيل سألهُ الملك مرةً كيف اثريت وانت تتاجر بالبقر فقال اثريت لاني اتاجر بالبقر ومع البقر